

## السياسة اللغوية وتعلم اللغة

التحديث وتدريس اللغة الإنجليزية

جيمس أطوليفسن

ترجمة: محمد خطابي

يفحص الفصل الرابع مظهرين يتصلان بدور الإنجليزية لغة ثانية في نظرية "التحديث": (1) الافتراضات الإيديولوجية التي ترفد الرأي الذاهب إلى أن الإنجليزية أداة متحد (2) العلاقة بين الطرق الحديثة لتدريس الإنجليزية لغة ثانية وبين قضايا السلطة. ويركز الفصل على بلدين أدت فيهما الإنجليزية لغة ثانية دورا مهما في جهود التحديث هما إيران والصين. لعل أحد أهم المبررات المقدمة لمطالبة المهاجرين في بريطانيا وغيرها بتعلم الإنجليزية هي أن هذه ستفيدهم اقتصاديا، وذلك بمساعدتهم على إيجاد الشغل. وتستعمل هذه الحجة أيضا لتبرير انتشار الإنجليزية في البلدان غير الناطقة بها فطرة. وتنظر بلدان العالم الثالث في آسيا وأفريقيا إلى الإنجليزية أداة رئيسة لاستيراد التكنولوجيا الغربية، وتوطيد العلاقات الاقتصادية مع أوروبا وأمريكا. وهكذا يؤدي تدريس الإنجليزية وتعليمها دورا كبيرا في كل أقطار العالم الساعية إلى التحديث.

### حالة باولا مارتينسون

باولا مارتينسون أستاذة تدرس اللغة الإنجليزية. تقطن في لندن، ولديها واحد وعشرون سنة من التجربة. فطوال السبعينات درّست الإنجليزية في المركز الثقافي البريطاني في بلدان أفريقيا وفي إحدى جامعات أوروبا الشرقية. وبعد ذلك حصلت على عمل في إيران حيث كانت تدرس الإنجليزية لغة ثانية قبل سقوط الشاه سنة 1979. اضطرت إلى مغادرة إيران مباشرة بعد العودة المظفرة لآية الله الخميني من فرنسا. ولأنها أصبحت عاطلة فقد قضت ثلاثة أسابيع تبحث عن العمل إلى أن وجدته ولوأنه دون ما تطمح إليه من حيث الأجر والتحفيز والرغبة - في كلية محلية للغة الإنجليزية بضواحي لندن. في أواخر 1989 قبول عمل يتمثل في تكوين مدرسين للإنجليزية لغة ثانية في الصين. تستأجر الصين كما فعلت إيران قبل الثورة المدرسين والمكونين؛ وهذا جزء من حملتها التحديثية. كان الأجر الذي تتقاضاه عن عملها جيدا، وعلى غرار أمثالها في المهنة أثارها حس المغامرة الذي تمنحه الصين وحيّرها أمر التحولات الهائلة الجارية هناك لكن تساورها شكوك في إمكانية استمرار العمل في

الصين، لا سيما بعد مظاهرات الطلبة في ربيع 1989 والكيفية التي عاجلتها بها الحكومة . ذلك أن التجربة الإيرانية علمتها أن التحولات السياسية يكون لها أثر كبير في الطلب على الإنجليزية لغة ثانية . وهكذا سيتوقف عملها في الصين إلى حد ما على احتمال استمرار الصين في مسيرتها التحديثية.

يستأجر المكونون في الصين بصفتهم "خبراء أجنب" لإعداد مختصين صينيين من أجل تحديث البرنامج الصيني المتعلق بتدريس الإنجليزية . وترى مارتينسون أن عملها يقدم للصين خبرات حديثة في الإنجليزية لغة ثانية . ولأجل ذلك ينبغي أن تقرر ما نوع الكتب المدرسية ووسائل العمل التي ينبغي أن تستعين بها، وما هي الطرق المناسبة . وهي تريد استخدام طرق تدفع طلبتها إلى عدم الاعتماد عليها كلية، إذ بعد الانتهاء من عملها يجب أن يكونوا قادرين على أداء المهام التي ستناط بهم في إطار الجهد الذي تبذله الدولة لنشر تعلم اللغة الإنجليزية في الصين.

### الإنجليزية لغة ثانية ونظرية التحديث

يعتبر دور مارتينسون في تحديث الصين جزءا من عملية أشمل . فالسبب الأول الذي جعل الإنجليزية تنتشر في الصين هو أن هذه لغة في التواصل الدولي؛ فهي أهم لغة في عالم الأعمال والاقتصاد، ولدى الحكومات والوكالات الدولية، وفي العلوم والتكنولوجيا، والسياحة والأفلام والموسيقى.

إن الأعداد وحدها لا تكفي لتفسير ظاهرة التوسع الذي شهدته الإنجليزية في العقود الأخيرة . وبالفعل فتنوعت اللغة الصينية مجتمعة هي أول لغة في العالم . وتعد اللغة الصينية -في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية- لغة الأسرة والبيت والهوية الشخصية، بالنظر إلى أن توسع مداها الجغرافي نتيجة مباشرة لهجرة الصينيين (1). وعلى عكس هذا لم ينجم انتشار الإنجليزية عن الهجرة، وإنما عن عمليات أهم من الديمغرافيا وأشد تعقيدا منها . إن ولوج الإنجليزية إلى أهم المؤسسات السياسية والاقتصادية في جميع القارات يعتبر نتيجة للسلطة الاقتصادية والعسكرية التي تحظى بها الدول التي تتكلم الإنجليزية وكذا نتيجة لتوسع اندماج السوق الاقتصادية العالمية التي تسيطر عليها تلك الدول . وهكذا أضحت العمليات التي أدت إلى انتشار الإنجليزية تعرف "بالتحديث".

الفكرة الرئيسية في نظرية التحديث هي أن المجتمعات "المتخلفة" يجب أن تحدث قطيعة مع البنيات المؤسسية "التقليدية" التي تعرقل التطور والازدهار الاقتصادي . وفي بعض الأحيان ينظر إلى التحديث بصفته مطابقا "للتغريب"، وهو رأي يفترض مسبقا أن للمجتمعات الصناعية المتطورة -من

حيث المبدأ-نفس البنيات المؤسسية (2). وعلى الجملة ترى نظرية التحديث أن أفضل طريقة ممكنة لتجاوز "التخلف" هي تبني مؤسسات وأنماط سلوك شبيهة بما يوجد في المجتمعات الصناعية. تُقرن نظرية التحديث بالصراع بين الرأسمالية والاشتراكية ؛ فهي تساند بديل رأس المال الخاص، وذلك من خلال تسليمها بأن التصنيع المحمي من قبل الدولة المملوك للخصائص يعتبر أساساً قوة تطوير وتحرير تؤدي إلى أشكال خاصة من الدولة "الديمقراطية" وكذا إلى الازدهار الاقتصادي . وبعبارة أبسط تدعي نظرية التحديث أن المجتمعات الغربية تقدم النموذج الأمثل للمجتمعات "المتخلفة" الساعية إلى إعادة إنتاج إنجازات "التصنيع".

ويقترن انتشار الإنجليزية وتدريسها لغة ثانية بنظرية التحديث بطريقتين . الأولى ينظر فيها إلى الإنجليزية أداة تحديث . وفي الثانية ينظر إلى أحادية اللغة (ويفضل أن تكون الإنجليزية) بأنها إيجابية في التنظيم الاجتماعي الحديث، بينما ينظر إلى التعدد اللغوي بأنه خاصية تميز المجتمعات "غير الحديثة". يلخص كراب وكابلان (1986) هذا الرأي، ويذهبان إلى أن أنظمة المعلومات الحديثة تتطلب سيادة لغة واحدة، وذلك لثلاثة أسباب . أولاً: كون المعلومات التي يتوقف عليها التطور التكنولوجي الحديث ذات صبغة تراكمية . فمن أجل متابعة العلماء وغيرهم من المعنيين بالبحث والتطوير - ما يستجد ينبغي أن يصلوا إلى البحث الذي يجري في العالم . ولهذا فوجود لغة بحث مشتركة أمر مفيد؛ ويلاحظ بشكل متزايد أن هذه اللغة هي الإنجليزية . ثانياً: نظراً لأن ثمن البحث والتطوير أصبح غالباً جداً، فإنهما متوقفان على دعم الحكومة للتجديد والتطبيق التقني . وعلى الرغم من أن المزج بين القطاعين العام والخاص متفاوت حسب البلدان، فإن الطلب على البحث والتطوير من لدن السوق يعطي الأسبقية لآخر المعلومات المستجدة. وعلى هذا النحو تتطلب عملية البحث والتطوير والتطبيق الوصول إلى آخر ما استجد في عالم البحث . وهكذا ينظر مرة أخرى إلى الإنجليزية أداة فعالة في هذا الوصول. ثالثاً: يشهد تنامي المعلومات توسعاً ملحوظاً، ويتطلب أنظمة استرجاع ووصول عالية التقنية. تنشر على وجه التقريب يومياً - سبعة آلاف مقالة علمية، أما المصادر الأخرى فمتاحة في المنشورات الرسمية، ومحاضر الندوات، وتقارير الصناعة الخاصة، وشبكات الحاسوب . وتشير الفيدرالية الدولية للتوثيق وهي أحد فروع اليونسكو تتعامل مع المعلومات العلمية - إلى أن 85% تقريباً من كل المعلومات المخزنة أو المخترلة في جميع أقطار العالم لغتها هي الإنجليزية (3). إن القدرة على الوصول إلى مثل هذا النظام المعقد من المعلومات والتحكم فيه يتطلب مهارات لغوية معتبرة على المستوى الوطني. يعني هذا أن كل بلد ينبغي أن يتوفر على طاقم ضخم ممن يتقنون الإنجليزية.

### نقد نظرية التحديث

الإنجليزية أداة مفيدة لتسهيل "التحديث"، هذا اعتقاد مقبول إلى حد بعيد، ولكنه ناقص، ووجه نقصه أنه لا يربط بين انتشار الإنجليزية وبين اللامساواة والاستغلال، أي أن انتشار الإنجليزية - واستعارة "الأداة" التي تبرره - ذو طابع إيديولوجي.

نالت نظرية التحديث حظا من النقد ركز على افتراضها الإيديولوجي المحوري الذاهب إلى أن كل المجتمعات تشملها سيرورة خطية، و لا سيما المجتمعات الصناعية الغربية لأنها وسعت مجال الملكية الخاصة لرأس المال ومؤسسات الدولة "الديمقراطية"، بينما تقع خلفها المجتمعات "المتخلفة" لأنها فشلت في القيام بالإصلاحات اللازمة . أما نقاد نظرية التحديث فيذهبون -عوض ذلك- إلى أن "التخلف" في بعض المجتمعات نتيجة "لتطور" مجتمعات أخرى؛ أي أن كل المجتمعات توجد في مرحلة تاريخية متماثلة، مع تفاوت في درجة التقدم ناتج عن علاقاتها اللامتساوية والاستغلالية. وفي السياق نفسه وجه انتقادات مماثلان إلى العبارة الاستعارية الإنجليزية أداة تحديث " :1) إن انتشار الإنجليزية يدعم العلاقات غير المتساوية بين المجتمعات "المتقدمة" والمجتمعات "السائرة في طريق النمو"؛ 2) إن الإنجليزية تقترن بجعل اللامساواة مؤسسية في المجتمعات "السائرة في طريق النمو".

إن سيطرة الإنجليزية تؤدي إلى قيام علاقات غير متساوية بين البلدان "المتقدمة" والبلدان "السائرة في طريق النمو"، وذلك لأن الوصول إلى المعلومات لا يتوقف على إتقان اللغة فقط، ولكن على البنيات والعلاقات المؤسسية أيضا . فالبلدان التي لا تملك شبكات حاسوب أو تملك شبكات صغيرة -مثلا- لا يمكنها الاستفادة من المعلومات المخزنة و لا استعمالها . فقد يتمتع على الحكومات أو عالم الأعمال الوصول إلى المعلومات لأسباب سياسية، وقد تكون الإجراءات الموصلة مربكة أو تستغرق وقتا طويلا ومن ثم يجب على الأمم الراغبة في الوصول إلى ثروات اللغة الإنجليزية تطوير المؤسسات اللازمة، مثل البحث ومكاتب التنمية وكذا الصلات مع المؤسسات التي تتحكم في المعلومات العلمية والتكنولوجية . لكن البلدان الفقيرة قد تكون عاجزة عن اتخاذ هذه الخطوات بمفردها، ولذا يجب عليها أن تستنجد بمساعدة الدول الكبرى . وترى البلدان السائرة في طريق التحديث " أن عملية التحديث تستلزم فتح أبواب مؤسساتها أمام النفوذ والسلطة المباشرين للبلدان المتحكمة في

المعلومات العلمية والتقنية . ونظرا لأن هذه العملية ليست متبادلة فستكون النتيجة علاقة غير متساوية بين المجتمعات "المتقدمة" والمجتمعات "السائرة في طريق النمو".

يقترن انتشار الإنجليزية باللامساواة في المجتمعات السائرة في طريق النمو " أيضا. فمعظم المجتمعات المستعمرة والتي كانت كذلك تتميز بنظام مزدوج، أي بمجموعتين منفصلتين من المؤسسات، لكنهما شديداً الترابط . هاتان المجموعتان من المؤسسات تضمان قطاعا "متقدما" ("غريبا" و "مصنعا") وقطاعا "متخلفا" ("ما قبل الصناعي" ، "تقليدي"). ونظرا لأن هذين القطاعين شديدا الاختلاف دخلا وثروة، تقع المهجرة من المجالات الريفية "المتخلفة" نحو المجالات الحضرية "المتقدمة" ومع ذلك لا تقلمص المهجرة آثار هذا الازدواج، حيث إن عددا من السكان الحضريين قد يقيمون في أحياء فقيرة ومفصولة جغرافيا عن "المراكز" "الغربية" "الحديثة".

غالبا ما يكون هذا الفصل الاقتصادي والجغرافي بين "الحديث" و "التقليدي" مصحوبا بفصل ينجم إلى حد ما عن عدم شمولية واتساق انتشار الإنجليزية عبر القطاعين . ومن المحتمل جدا أن يكون الأفراد والمجموعات في القطاع "الغربي" متكلمين للإنجليزية. وبالفعل قد يكون تكلم الإنجليزية معيارا للانتماء إلى هذا القطاع (وضعيا مماثلة لهذه في البلدان الفرنكوفونية ما بعد الاستعمار ). وبالعكس نادرا ما يكون القاطنون في القطاع "التقليدي" متكلمين للإنجليزية، وقد لا تكون أمامهم فرص تعلمها. طبعا، ليس التفاوت في انتشار الإنجليزية مسؤولا عن هذا التفاوت في توزيع الثروة، ولكنه يساهم في جعل الهوة بين القطاعين تتخذ طابعا مؤسسيا، ويساهم كذلك في إقامة حاجز مادي مهم أمام كل من يسعى إلى الانتقال من أحدهما إلى الآخر.

تبحث الفصول 1 و 5 و 7 بحثا معمقا مجموع القضايا التي تتضمن تأثير الإنجليزية في اللامساواة والاستغلال. والقضية الرئيسية في هذا الفصل هي أن الأدلة التي ترجح انتشار الإنجليزية لغاية "التحديث" حجج إيديولوجية لزوما، وذلك بإلحاحها على أن الإنجليزية ليست إلا أداة عملية للتقدم، لا آلية لترسيخ اللامساواة الاجتماعية وجعلها تابعا مؤسسيا.

ومثلما هو شأن جميع آليات اللامساواة في توزيع الثروات الاقتصادية والسلطة السياسية، يولد انتشار الإنجليزية مقاومة وصراعا داخل المجتمعات السائرة في طريق النمو ". ومن أجل فهم شامل وعميق لدور الإنجليزية في "التحديث" وأسباب مقاومة انتشارها، من الأفيدي فحص حالي صراع بين القوى المناصرة للإنجليزية والقوى المعارضة لها. هاتان الحالتان هما إيران والصين.

### اللغة الإنجليزية في إيران

كانت الإنجليزية تُتعلّم وتدرّس في إيران باعتبارها جزءاً من قفزة البلد نحو تحديث سريع، وذلك قبل أن تطيح الثورة الإيرانية (1978-1979) بالأسرة الملكية البهلوية المنبوذة التي تربع على عرشها محمد رضا شاه لتحل محلها جمهورية إسلامية شيعية بزعامة آية الله روح الله الخميني . وكان يعمل في إيران مئات المكونين الأجانب يدرسون اللغة الإنجليزية لغة ثانية من خلال النظام التعليمي الإيراني، بينما يتابع آلاف الطلبة الإيرانيين دراستهم في الجامعات الناطقة بالإنجليزية في إنجلترا وأمريكا والهند والفلبين . وما بين منتصف الخمسينات وأواخر 1978 توسعت رقعة الإنجليزية بانتظام لغة مشتركة في إيران، وغدت أهم لغة تقنية في مجالات الأعمال والجيش والتعليم العالي والإعلام. وعلى الرغم من أن الإنجليزية اخترقت مجالات واسعة في الحياة الإيرانية، فسرعان ما اضمحل استعمالها بعد ثورة 1979. وكان أحد أسباب ذلك ارتباطها -اللغة- بالولايات المتحدة الأمريكية التي كانت الثورة تعتبرها عدوها الخارجي الأول . بيد أن أحد أهم الأسباب هو التخلي عن برنامج التحديث الذي أدت فيه الإنجليزية دوراً محورياً، والذي أصبح مرادفاً لسيطرة متزايدة تمارسها على إيران نخبة متغربة ومؤسسات غربية تساند هذه.

### اللغة الإنجليزية في عهد الشاه

يجب أن تفهم العلاقة بين الإنجليزية والتحديث، سواء في إيران أو في غيرها، في سياق التاريخ الحديث. وعلى الرغم من أن التاريخ الذي أدى إلى الثورة الإيرانية يقع خارج نطاق اهتمام هذا الكتاب، فإنه يستحيل تفسير مصير الإنجليزية بعد 1978-1979 بدون فهم حقيقي لدورها في إيران أيام الشاه. وبناء عليه نقول كانت إيران في عهد النظام البهلوي مندججة اندماجاً قويا في البنية الاقتصادية والعسكرية الغربية، وكانت الإنجليزية لغة الاندماج الأولى وقد بدأت عملية الاندماج منذ الخمسينات، لكن وتيرتها لم تتسارع إلا في السبعينات، بفعل عاملين رئيسيين أولهما ارتفاع أثمان البترول سنة 1973، وثانيهما العلاقة العسكرية الوطيدة بين الشاه والولايات المتحدة الأمريكية. أدى ارتفاع أثمان بترول الأوبيك سنة 1973 إلى قفزة غير مسبوقه في مجمل الإنتاج القومي الإيراني من 34% سنة 1973 إلى 43% سنة 1974 وهذه أرقام لوثمت ونسب التضخم<sup>(4)</sup>. وهكذا انتقل من أقل من ثمن الإنتاج القومي سنة 1959 إلى ما يقرب من نصفه سنة 1974. ونتيجة لهذا النمو العجيب كانت إيران مغمورة بثروة مالية مصدرها البترول . ولأن للأمريكيين والأوروبيين تاريخاً طويلاً من التدخل في عالم الأعمال والسياسة في إيران، فقد سعوا سعياً حثيثاً إلى استغلال هذه الثروة . ومن ثم تقاطر آلاف المستثمرين على طهران بحثاً عن العقود الحكومية والتوغل في السوق البترولية

الإيرانية الغنية؛ ففتحت مئات الشركات مكاتبها في طهران، وشيدت أخرى مدنا - شركات (5) ومركبات تضم السكن، ومرافق للاستحمام، وأسواقا ممتازة، وخدمات أخرى . وأبرمت أكثر من مائتين من المؤسسات التعليمية الأمريكية عقودا للتعاون مع الجامعات الإيرانية، وغالبا ما كانت تلك العقود طريقة بمقتضاها تمكنت الكليات الأمريكية من تجاوز الأزمة التي حلت بها على إثر الزيادة المطردة في تكلفة الدراسة وتراجع أعداد المسجلين طوال السبعينات (6).

شرح الشاه، في الوقت نفسه، في تحديث الجيش الإيراني وتوسيعه، منقفا البلابين على الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية . تلقى جميع الضباط الكبار تداريبهم في الولايات المتحدة الأمريكية، بما في ذلك حصص اللغة الإنجليزية لغة ثانية؛ وفي هذه الحصص نفسها تقيد آلاف العسكريين في إيران استعدادا للعمل مع المؤطرين الأمريكيين، ولصيانة الأسطول الجوي وتجهيزات أخرى اقتنيت من الولايات المتحدة الأمريكية، وللتدرب مع القوات المسلحة الأمر يكية. ففي سنة 1973 كان حوالي ستمائة وثلاثة آلاف من التقنيين الأمريكيين المختصين يعملون في إطار المشاريع العسكرية وحدها، وفي القطاعات الاقتصادية الأخرى يشغل آلاف ممن يسميهم بعض المنتقدين "المرتزقة البيروقراطيون" (7).

توجد ضمن هذه المجموعات أعداد كبيرة من المـ ؤطرين والأساتذة المكوّنين في مادة الإنجليزية لغة ثانية، لأن مهاراتهم كانت مطلوبة جدا في ظل برنامج التحديث الذي سطره الشاه . وبحث مستخدمون خواص عن مكوّنين في إطار برامج تشرف عليها هيئات دولية والجيش ( من ذلك مثلا تعليم طاقم إصلاح المروحيات كيفية قراءة تقنيات الإصلاح الواردة في الدليل باللغة الإنجليزية ) . وأجرت الجامعات الأمريكية المكوّنين من أجل تبادل البرامج مع إيران . وبحث الجامعات الإيرانية عن مكوّنين وأساتذة في مادة الإنجليزية لغة ثانية متفرغين كي يشغلوا مناصب هيئة التدريس بصفة منتظمة . واستأجرت المدارس التي التحق بها أبناء الأجانب من رجال الأعمال والجيش مكوّنين يتكلمون الإنجليزية لتدريس جميع المواد . وفي الوقت نفسه توجه مئات آلاف الطلبة الإيرانيين إلى الخارج لدراسة الإنجليزية. ونظرا لالتحاق عدد كبير من الطلبة الإيرانيين بالجامعات الأمريكية فقد جعلت هذه منشوراتها الخاصة بالإنجليزية لغة ثانية تركز تخصيصا على المشاكل اللغوية لدى الإيرانيين في الولايات المتحدة الأمريكية (8). لقد استعمل الشاه اللغة الإنجليزية في عدد من خطبه وفي أهم كتاباته، وذلك سعيا إلى الربط بين الإنجليزية والتحديث وفي أهم بيان له عن رؤيته م . مستقبل إيران، الثورة البيضاء، استشهد الشاه بجورج واشنطن وأبراهام لينكولن وإميرسون وشكسبير و ولينكتون وديسرائيلي

(هلوي، بدون تاريخ). ويسمى البلدان الغربية بلدانا "تقدمية"، ويثني على الطلبة الإيرانيين الذين يتابعون دراساتهم في الخارج؛ فضلا على أنه أحدث تغييرات في التعليم المهني الذي يهيئ الإيرانيين للعمل في الوكالات الدولية الغربية، ويثني على العلاقات الوطيدة بين إيران والغرب. وفي الوقت نفسه سعى الشاه إلى وضع أسس مؤسسات تعليمية جديدة قائمة على النموذج الغربي هكذا فتحت مؤسسات لتكوين المدرسين، وشبكة من المدارس العليا الخاصة، ووضعت برامج جديدة في المؤسسات القائمة. وعلى الرغم من أن هذه الخطوات أنجزت باسم "التحديث" فإنها كانت موجهة أيضا إلى إضعاف تأثير رجال الدين الإسلاميين وهم العدو الرئيسي للشاه - في التعليم (9). ولهذا السبب سيكون النظام التعليمي بؤرة التغيير بعد الثورة.

### اللغة الإنجليزية في عهد الثورة الإيرانية

الثورة الإسلامية سنة 1978-1979 ثورة صنعتها الخطابة إلى حد ما، وعلى نحو خاص خطب الجمعة التي يلقيها رجال الدين الذين حددوا المآل فعليا وشكلوا الرأي العام. بالإضافة إلى هذا كان الربط الشديد بين اللغة الإنجليزية وبرنامج التحديث الذي أطلقه الشاه ينبئ بأن الثورة ستكون لها عواقب لغوية. أبرز بيتمان (1986) أن القضايا الثقافية المحورية في الثورة هي التوتر بين "الداخلي" و"الخارجي"، وحقوق القيادة ومسؤوليتها. انصب الجدل حول ما هو داخلي وما هو خارجي على السؤال: ما هي مكونات الثقافة الإيرانية "الخالصة"؟ وقد تعرف تحليل بيتمان، في الخطابة الثورية، ثلاثة مظاهر من الثقافة (الداخلية) الإيرانية هي: البعد الأخلاقي، ويقتضي طهارة النفس فكرا وعملا؛ البعد القومي، وينادي بأن جوهر الهوية الإيرانية نقي، أما الفساد السياسي والاقتصادي الذي أصاب البلاد فيعود إلى قوى خارجية أجنبية. البعد التاريخي، ويشدد على الغزو المستمر الذي قامت به قوى أجنبية من الإسكندر والإغريق حتى العرب والمغول والبريطانيين. وتكمن المسؤولية الأساسية الملقاة على عاتق القيادة - حسب الخطابة الثورية - في دفع قوى الفساد الخارجية. وتتجلى براعة الخطابة الخمينية في قدرته على جعل نظام الشاه مطابقا لقوى خارجية فاسدة، وجعل رجال الدين المسلمين حماة للنقاء الإيراني.

إذا كان الشاه قد ساند اللغة الإنجليزية، فإن الخميني ربط بين هذه والقهر الغربي للشعب الإيراني (10) ودعا أتباعه إلى عدم قراءة الكتب التي يستشهد فيها بالأجانب، وأبدي تدمره من



استعمال الإنجليزية في أسماء المحلات التجارية والشوارع والملابس وأشياء أخرى عامة (11). وربط بين الإنجليزية وأعداء الثورة ذاهبا إلى أن أعداء الإسلام أفسدهم وكلاء الاستعمار الذين يتواصلون سريريا بلغة أجنبية (12). أدان الخميني في كتاباته المدارس الغربية (13)، وفي الوقت ذاته شدد على أن التحرير والعدل ممكنان بالصلاة التي تعد مظهرا من مظاهر الحياة الإيرانية التي لم تدخلها الإنجليزية (14). وتجلى نداء الخميني بالثورة مطلباً لوضع حد للآثار الخارجية الفاسدة (15). وحين جعل الشاه مطابقا للفساد كان سقوط هذا الأخير واردا.

ألح الخميني، عند تحليله لصفات القيادة الملائمة لإيران طاهرة، على القدرة على قراءة القرآن وتفسيره وتدرسه؛ وهكذا فبراعة تكلم الفارسية مطلب مركزي في شرعية الحاكم (16). وينبغي - حسب الخميني - أن تعتمد القلدة في التراتبية الإيرانية على الطهارة الدينية، لا على التعليم الأجنبي . هذه المبادئ تم تطبيقها بعد الثورة.

### الأجنبية بعد ثورة 1978 - 1979

بعد نجاح الثورة لم يعد رجال الدين المسلمون في حاجة إلى نعت الإنجليزية بأنها رمز السيطرة الأجنبية على إيران . وبدل ذلك سعت الثورة إلى تأميم استعمال الإنجليزية . وكانت نهاية برنامج التحديث الذي بدأه الشاه تعني أن الإنجليزية لم تعد اللغة السائدة في عالم الأعمال والحكومة والجيش والصناعة. وهكذا حصرت الإنجليزية بالتدريج في مجالات محدودة حيث تكون مفيدة للمصالح الإيرانية الجديدة ( من ذلك الدبلوماسية وما تتطلبه الاتصالات مع البلاد الأجنبية، والوصول إلى الأدبيات العلمية).

ساعد تقليص دور الإنجليزية على تقليص سلطة النخبة ذات التعليم الغربي . وكان تطهير القطاعات الحكومية من العناصر المتغربة كثيفا، وخاصة في وزارة التعليم التي تعتبر محورية في تطور الإيديولوجية الثورية وانتشارها؛ ولكن التطهير لم يكن واسعا إلا في القطاع العسكري . وفي قطاع التعليم طُرد الطلبة والمدرسون غير الإسلاميين خلال 1980 و 1981 ، وقُدّر عدد المدرسين المفصولين من الخدمة بعشرين ألفا (17). وروجعت الكتب المدرسية وبرامج النظام التعليمي برمته من أجل القضاء على التأثيرات الغربية التي انتشرت في عهد الشاه . ولأن الثورة سعت إلى تقوية نفسها في أوائل 1980 فقد شن الخميني هجوما عنيفا على النظام التعليمي الجامعي قائلا : "لا نخيفنا العقوبات الاقتصادية ولا التدخل العسكري، ما نخيفنا هو الجامعات الغربية وتكوين شبابنا بما يستجيب لمصالح الغرب أو الشرق" (18). وقد أدى هذا الخطاب إلى الهجوم على معهد طهران لتكوين المدرسين وجامعة شيراز،

ومؤسسات أحرى أخيراً أقفلت الحكومة الجامعات من أجل الشروع في أسلمة المؤسسات . ولم تفتح أبوابها من جديد إلا في سنة 1984.

تعني هذه الإجراءات أن الإيرانيين الذين كانوا وثيقي الصلة مع المؤسسات الأمريكية، و من ثم يتكلمون الإنجليزية، فقدوا امتيازاتهم التواصلية . وبينما كان إتقان الإنجليزية أساسياً قبل الثورة بالنسبة لعدد من الأنشطة في الحكومة والجيش وعالم الأعمال أصبح الطلبة بعد الثورة يخضعون لاختبارات سياسية ودينية. وكان يطلب من الراغبين في ولوج مدارس تكوين المعلمين أن يكونوا مسلمين يقيمون شعائر الإسلام، وأن يعلنوا الولاء للجمهورية الإسلامية والثورة، أما غير المسلمين فيسمح لهم بالالتحاق بتخصص الحاسبات فقط، وبدراسة اللغة الأجنبية ' (19). وفي القطاع العسكري لم تعد الإنجليزية هي اللغة التقنية، وسرح الضباط الذين كوّنوا في الولايات المتحدة الأمريكية (20). وحين بدأت المؤسسات الثورية تتشكل اعتمدت اللغة الفارسية في المقام الأول . إضافة إلى هذا استفاد عدد كبير من الإيرانيين من حملة مكثفة لمح و الأمية مكنتهم من فرص تلقي تعليم عال باللغة الفارسية والمشاركة في السياسة والحكم (21).

وهكذا اقترنت نهاية سيادة اللغة الإنجليزية بتغير بنية السلطة في المجتمع الإيراني، إذ بقطع إيران - بعد الثورة - علاقتهما الاقتصادية والعسكرية والصناعية مع الولايات المتحدة الأمريكية قلصت الحاجة إلى مدرسي اللغة الإنجليزية تقليصاً كبيراً . ومن ثم أمتت إيران رموزها الثقافية والبلاغية الخاصة، وحددت لنفسها ما هو "إيراني" وما هو "أجنبي"، وقضت على عدد من آليات انتشار الثقافة واللغة الغربية. وبعد استعمال الإنجليزية في التلفاز أحد رموز تأميمها. فبعد الثورة بعشر سنوات تقريباً، 1988، تتلو امرأة -ترتدي الشادور- الأخبار باللغة الإنجليزية في التلفزة الحكومية لمدة خمس عشرة دقيقة كل يوم (22).

وفي أواخر الثمانينات كانت إيران تسعى إلى ربط الصلات مع أوروبا الغربية، فاقترح بعض القادة السياسيين فتح الباب أمام الاستثمارات والمساعدات الغربية لإعادة الإعمار بعد الحرب مع العراق. فهدمت إلى طهران، مرة أخرى، بعثات أجنبية آملّة في الحصول على العقود . وفي سنة 1989 أضحت مناقشة الدور الأجنبي الملائم لإعادة الإعمار مركزياً في النقاش السياسي الإيراني . وبعد وفاة الخميني كان الرأي السائد هو وجوب تفادي الدين الأجنبي لأنه يؤدي إلى الوقوع تحت السيطرة الأجنبية، أما الخبرة فيمكن الترحيب بها مرة أخرى (23). قد تؤدي هذه السياسة إلى توسع التعليم

باللغة الإنجليزية، لكن من المستبعد أن تغدو أهم لغة تقنية كما كانت أيام الشاه . ومن المحتمل أن يبقى دور الإنجليزية محدودا طالما سيطر أتباع الخميني على القيادة السياسية لإيران.

الهوامش

- Kaplan 1987 -1
- Giddens 1982 b -2
- Grabe and Kaplan 1986,p.p 45-50 -3
- Vakil 1977, Beeman 1986, p.202 -4
- المقصود مدن نشأت أصلا بسبب وجود شركات أو مؤسسات إنتاجية -5
- Beeman 1983 - 6
- Klare 1980.,p. 51. - 7
- . Monshi-Tousi; Hosseine Fatem and Oller 1980- 8
- . Bakhash 1984 -9
- 1980; p 206. -10
- 1980; p. 208-209 -11
- 1979;p.63 -12
- .1979; p.4-5-13
- . Cf. Bakhash 1984-14
- .1979; p. 14-15
- .1979;p.27.-16
- Bakhash 1984; p.112 ; Arjomand 1988; p. 144 -17
- . Bakhash 1984; p.122-18
- op.cit p.226 -19
- . Ashraf 1989-20
- Halliday 1989. انظر -21
- Simpson 1988. -22
- Hooglund 1989.-23